جامعة تكريت ـ كلية التربية للبنات ـ

قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

المرحلة الثالثة

المادة: العقيدة

عنوان المحاضرة: اليوم الآخر في الفكر الإسلامي

م. د. هيفاء عبد الله الطيف الربيعي

Abdulla.haifa٩٤٩@st.tu.edu.iq

اليوم الآخر في الفكر الإسلامي

من الأمور المسلم بها في الدين الإسلامي الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت، يبعث الناس بعد موتهم، ويحاسبون على ما قدموا من أعمال، فيجازون عليها، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنة الخلد، وأما الذين كفروا وعملوا السيئات فلهم النار، يشقون فيها بالعذاب الشديد فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨] .

تسميته :

وسمي باليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا، لأنه ليس منها، حتى يكون آخرها ، وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي خالقهم، وقيام الحجة لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم) .

حكم الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، يكفر من لا يؤمن به بالإجماع، على ما تقدم ويأتي بيانه. وقد فصل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أخبار اليوم الآخر، وما يتصل به من مشاهد القيامة، وفصل أوصاف أهله في الجنة والنار، برزت فيه المشاهد حية واضحة مكتملة السمات، تخفق لها القلوب، وتقشعر منها الأبدان

طريق ثبوته

ومن الطبيعي أن هذه الأخبار والأوصاف من الأمور الغيبية التي لم يدركها أحد، إذ أن وقوعها يكون بعد الموت. لذلك فإنا سنقتصر في بحثنا هذا على ما ورد فيها من تلك الأخبار والأوصاف، بطريق قطعي الثبوت، قلنا سابقاً أنه ينتهي إلى اليقين، وهذا الطريق هو : القرآن الكريم كلام الله تعالى، الذي أثبتنا أنه لا يقبل في خبره شك أو ريب . والسنة النبوية الصحيحة الثابتة، التي وردت عن لسان النبي محمد ﷺ الصادق الأمين في ما يبلغه عن الله تعالى . تاركين الأحاديث التي فيها ضعف أو جرح، لأن هذا الكلام يخص الاعتقاد، وهذا هو السبيل الوحيد القاطع بالصحة لإثبات عقيدتنا باليوم الآخر .

طريق فهم الغيبيات واعتقادها

الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي يجب أن نستيقنه، ويمكن أن نقرب طريقة فهمه بما يأتي :

ا – رأى الطبيب في يدك كأساً من الماء، فتأمل به، فقال لك : لا تشرب هذا الماء، فإنه ملوث، يعرض حياتك للخطر، وأنت لا تعلم عن الطب والماء وخصائصه شيئاً سوى أن هذا الطبيب

حاذق .
ب – أخبرت أن علماء الأرصاد والفلك حددوا خسوف القمر في ليلة معينة، أو هبوب رياح عاتية في يوم ما، ورأيت أن الخبر يقيني رسمي.
لا شك أنك تستيقن ذلك لأمرين هما :
أ – يقينك بأن الطبيب حاذق، وأن علماء الأرصاد صادقون فيما يخبرون ..
ب – يقينك بأن كلام الطبيب وخبر علماء الأرصاد يقيني صادر من جهة رسمية، على نحو لا يحتمل الكذب.
هذان الأمران وإن كانا من الأمور الغيبية، إلا أنك استيقنتهما، فلم تعد تشك في جزء منهما) .
ونحن بعد أن أقمنا الأدلة على وجود الله تعالى، وأنه كاليء الكون بعنايته ورعايته، وعلى أن محمداً رسول الله حقاً، صادق فيما يخبر عن الله تعالى، وقد وصل خبره إلى درجة اليقين الذي لا شك فيه استيقنا عندئذ أن ما أخبرنا به عن أحوال اليوم الآخر هو حق لا مرية فيه، وإن كان ذلك من الأمور الغيبية التي لا تحكم الحواس فيها بالقطع أو النفي.
الإيمان باليوم الآخر هو نتيجة الإيمان بالله لا يكون المر، مؤمناً باليوم الآخر إلا إذا آمن بالله تعالى، لذلك قرن القرآن الكريم بينهما في مواضع كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) [البقرة: ٨].
وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَرَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٦٢].
وقوله : ولكن البر من عامَن بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمُتَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة: ١٧٧]).
فلا معنى إذن للإيمان باليوم الآخر من غير الإيمان بالله وأنبيائه .
لذلك كان عبثاً أن تجادل باليوم الآخر من لا يؤمن بالله تعالى، لأن مثلك عندئذ مثل من ينبيء شخصاً بوصول الإنسان إلى القمر، وذلك ينكر وصوله، وهو يجهل الأمور البدهية التي صار إليها علم الفلك الآن.
فالمجادل في الحياة الآخرة نحيله إلى البراهين القطعية على وجوده تعالى وقدرته وصفاته الكاملة التي أسلفناها في باب الإلهيات.
فإذا ثبت لنا وجوده تعالى، وثبتت النبوة، فيجب عندئذ أن يكون هناك بعث ومحاسبة، يجزى المرء حسب عمله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨] وإلا يلزم الظلم بالنسبة للخالق، إذا ترك محاسبة العاصي وإثابة المطيع، والظلم محال على الله تعالى.

انقطاع العمل بالموت

الحياة الأخرى يقول الرسول :

إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له رواه مسلم – كتاب الوصية.

فالموت هو الحد الفاصل بين الحياة الدنيا وبين الآخرة، وعليه فإن منازل الآخرة تبدأ بمجرد مغادرة الروح البدن . وهنا سنتحدث عن هذه المنازل مسلسلة مبتدئاً بالموت، وما يتصل به، وما يتبعه إلى قيام الساعة وما يتلوها من مشاهد حتى استقرار الإنسان في الجنة أو النار.

سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم

عن أبي هريرة الله أن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار، ثم يختم له عمله بعمل أهل

الجنة رواه مسلم – كتاب القدر .

وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال : إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم رواه البخاري – كتاب القدر.

وتكون سوء الخاتمة :

أ – لمن أصر على الكبائر، وأقدم على المحرمات، فربما غلب عليه ذلك، حتى ينزل به الموت قبل التوبة.

ب – لمن كان مستقيماً ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته .

لذلك قال العلماء :

فلا تعجب بإيمانك وعملك، وصلاتك وصومك وجميع قربك، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك .. فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيرك، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف الطير، فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، فأصبحت وزهرها يابس هشيم ... كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم، فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم) . ولذلك أوجب الله تعالى التوبة على المؤمنين، لتحسن خاتمتهم، ويكون مصيرهم الجنة، فإن العبد لا يدري متى تقبض روحه، إذ أن الموت يأتي على الصغير والكبير، والصحيح والسقيم . فلا بد أن يبادر الإنسان إلى طاعة ربه، ما دام مكلفاً شرعاً، لأن سن التكليف يتعلق به الثواب والعقاب. والطاعة سبيل الوصول إلى جنة الفردوس

التوبة

التوبة في أصل اللغة : الرجوع. يقال: تاب أي رجع . وفي الاصطلاح : الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه.

قال النبي : إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر، أخرجه الترمذي، أي : عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم، وإنما يغرغر إذا قطع الوتين.

والتوبة : فرض على المؤمنين باتفاق المسلمين، بدليل : قوله تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وقوله : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ نَوْبَةً نَصُوحًا) [التحريم : ٨] .

شروط التوبة

١ – الندم بالقلب على ما اقترف من معصية.

٢– ترك المعصية في الحال . – العزم على أن لا يعود إلى مثلها .

٣– أن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره .

فإذا فقد شرط من هذه الشروط لم تصح النوبة ، هذا إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق الآدمي. فإن كانت متعلقة بحق آدمي، فيشترط بالإضافة إلى الشروط المتقدمة: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه، أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها.

أما حديث (الندم توبة) فهو نص على معظمه، أي معظم أركانها الندم، فهو كما قال النبي ﷺ: «الحج عرفة أي : معظم أركانه عرفة (أي الوقوف بها).

ومن أهل التحقيق من قال : يكفي الندم من تحقيق ذلك، لأن الندم يمتنع ما بعده، فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مصر على مثله، أو عازم على.